التفسير البلاغي عند الامام أبي العباس المهدوي (ت 440 هـ) من خلال كتابه: "التحصيل لفوائد التفصيل الجامع لعلوم التنزيل"

الدكتور حسن الراحل
المغرب

مقدمة:

تعتبر البلاغة من جملة الاصول اللغوية التي احتفل بها المهدوي في تفسيره بشكل واضح ، فتفسير القرآن بعلم البلاغة أو ما اصطلح عليه بعد بالتفسير البلاغي ، تدور مباحثه حول بلاغة النص القرآني، معتمدا علومها الثلاثة من –معاني وبيان وبديع –ذلك أن هذه العلوم من الشروط الاساسية التي يحتاجها المفسر، ((لأنه يعرف، بالأول خواص تركيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، وبالثاني خواصها من جهة اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها ، وبالثالث وجوه تحسين الكلام ، هذه العلو الثلاثة هي علوم البلاغة ، وهي أعظم أركان المفسِّر، لأنه لابد له من مراعاة ما يقتضيه الاعجاز، .وإنما يدرك بهذه العلوم))[1].

والبحث في هذا الأصل بحث جليل أصيل فهو يقوم في أساسه وجوهره على الاعجاز القرآني، ولبيان أهمية هذا الاصل في التفسير عند المهدوي جاء هذا المقال للكشف عن مفهوم تفسير القرآن بعلوم البلاغة؟ وما مدى حجيتها في التفسير؟ وكيف اعتمدها المهدوي في بيان معاني التراكيب القرآنية؟

المطلب الأول: استخلاص مفهومه من كتاب التحصيل.

الفرع الأول: المفهوم إفرادا.

معلوم لدى الباحثين أن مفهوم التفسير قائم على بيان معاني القرآن والكشف عن أحكامه وحكمه كما أشار إلى ذلك الامام الزركشي لكن الذي يهمنا في هذا المقام هو الوقوف على المصطلحات التالية:

البلاغة لغة:

البلاغة في اللغة بمعنى الفصاحة، والبَلَغَ، والبِلغُ والبليغ من الرجال، ورجل بليغ وبِلغُ، حسن الكلام فصيحه، يُبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه، والجمع بلغاء، وقد بَلُغَ بالضم بلاغة أي صار بليغا، والباء واللام والغين فيها أصل واحد وهو الوصول إلى الشيء، فتقول: بلغت المكان إذا وصلت إليه[2].

أ) **البلاغة اصطلاحا:**

وقد عرفها كثير من أهل علم بتعريفات[3] أجمعها تعريف الخطيب القزويني–وهو آخر من وقف على علوم البلاغة من المتأخرين–بقوله: هي مطابقة الكلام لمقتضى حال السامعين مع فصاحته.[4] وعليه قسم أهل المعاني البلاغة إلى علوم ثلاثة:

أ) علم المعاني.

ب) علم البيان.

ت) علم البديع.

الفرع الثاني: المفهوم المستخلص.

مفهوم تفسير القرآن بعلوم البلاغة لم يرد عند المهدوي كمركب إضافي لكن يوجد في كتاب التحصيل من الشواهد ما يدل على هذا الاصل من تشبيه وكناية واستعارة وحقيقة ومجاز وغير ذلك من مباحث علوم البلاغة، ففي عدة موضع نجد المهدوي يذكر من أنواع متعددة من علم واحد من علوم البلاغة أو يعتني بذكر من كل علم حسب ما يقتضيه الاسلوب البلاغي المتضمن في الآية، وهذا التعدد البلاغي عند المهدوي يعطي قيمة لهذا الاصل في البيان، وهذه جملة من الشواهد التي صرح فيها المهدوي بعلوم البلاغة:

الشاهد الأول:

استدلاله بالتشبيه أحد مباحث علم البيان من ذلك عند تفسير قوله تعالى:(طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) سورة الصافات الآية 65، وذلك بقوله: شبهها بذلك لأن قبح رؤوس الشياطين متصور في الانفس وإن كان غير مرئي ومن ذلك قولهم لكل قبيح هو كصورة الشيطان.

وقيل إنما شبه ذلك ب (رؤوس الشياطين)، لأنه قد أعلم أنه يشوه خلقهم في النار، وقيل إنما شبه بنبت قبيح باليمن يقال له رؤوس الشياطين، وهو معروف، وقيل إن (الشياطين) ضرب من الحيات معروف.

ويقرب من التشبيه أسلوب التمثيل وقد اعتني به المهدوي ويطلق عليه البلاغيون " تشبيه التمثيل ومن أمثلته ما أورده عند تفسير قوله تعالى: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ) سورة البقرة الآية 17، قال المهدوي: وهذا مثل ضربه الله تعالى للمنافق، لأنه أظهر الإسلام فحقن به دمه ومشى في حرمته وضيائه، ثم سلبه في الاخرة عند حاجته إليه.[5]

الشاهد الثاني:

استدلاله بالإطناب أحد مباحث علم المعاني من ذلك عند تفسير قوله تعالى: فلا أقسم بمواقع النجوم سورة الواقعة الآية 75، قال المهدوي: المعنى أقسم، قاله سعيد بن جبير وغيره، الفراء هي نفي، والمعنى: ليس الامر كما تقولون، ثم استأنف :(أقسم).[6]

ومما يشهد على اعتماد المهدوي علم المعاني في تفسيره، استدلاله بأسلوبي الخبر والانشاء من ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى: (وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا

وَعَلَى النَّاسِ ولكن أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) سورة يوسف الآية 38، وقوله: (مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ) لفظه لفظ الخبر ومعناه النهي.[7]

الشاهد الثالث:

استدلاله بالالتفات أحد مباحث علم البديع عند تفسير قوله تعالى: (إياك نعبد واياك نستعين) سورة الفاتحة الآية 4، قال المهدوي رحمه الله: إياك نعبد خروج من لفظ الغيبة إلى الخطاب، والعرب تستعمل ذلك.[8]

فهذه شواهد واضحة تدل على استدلال المهدوي بعلوم البلاغة وما يضمه من مسائل وبناء عليها وعلى المعنى الافرادي لمصطلحات الاصل والتعدد البلاغي عند المهدوي في التفسير يمكن تعريف هذا عند الاصل عنده بقولنا:

هو التفسير القائم على الاستدلال بعلوم البلاغة في بيان القرآن حتى تتضح معانيه ويزول إشكاله، وتتضح أحكامه وقضاياه.[9]

وهذا التعريف شامل على ثلاثة أنواع من الاستدلال لبيان المعاني القرآنية عند المهدوي، أولها: الاستدلال بعلم المعاني وثانيها: الاستدلال بعلم البيان، وثالثها: الاستدلال بعلم البديع وسيأتي شرحها وبيانها في المطلب الآتي.

المطلب الثاني: مناقشة هذا المفهوم.

المفهوم المستخلص يعتبر مهما نظرا لمراعاته التعريف الواسع لمصطلح أصول التفسير الذي رجحه أرباب هذا الفن واختاروه، ويمكن مناقشته من خلال بيانه وإيضاح مفرداته:

فقولي: "الاستدلال بعلوم البلاغة" يشمل كل وجوه الاستدلال بالأساليب البلاغية المتضمنَة في الآية ويتم ذلك بعلوم البلاغة الثلاثة وهي: **علم المعاني** وهو عبارة عن أصول وقواعد يعرف بها أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له[10]، والمراد بأصول اللفظ ما يشمل أحوال الجمل وأجزائها ، فأحوال الجمل : كالفصل والوصل والايجاز والاطناب والمساواة ، وأحوال أجزائها: أحوال المسند إليه والمسند ومتعلقات الفعل[11]، **وعلم البيان:** وهو عبارة عن أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد، بطرق يختلف بعضها عن بعض في وضوح الدلالة العقلية على نفس ذلك المعنى ، فالمعنى الواحد يستطاع أداؤه بأساليب مختلفة في وضوح الدلالة عليه، من حيث : التشبيه ، والمجاز، والكناية .... وهو ما يتحرز به عن التعقيد المعنوي، أي عن أن يكون الكلام غير واضح الدلالة على المعنى المراد[12]. **وعلم البديع:** وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته،[13] وهو تابع لعلمي (المعاني والبديع)، إذ بهما يعرف التحسن الذاتي، وبه يعرف التحسين العرضي.[14]

وقولي: حتى تتضح معانيه ويزول إشكاله، أي حتى تتضح معاني لفظه بعلم المعاني ودلالاته بعلم البيان ويظهر جمال لفظه بعلم البديع ومحسناته، ويزول إشكاله سواء كان بسبب التشبيه أو الاستعارة أو الكناية أو المجاز أو التقديم والتأخير أو الايجاز أو نحو ذلك[15].

وقولي: "وتتضح أحكامه وقضاياه" يشمل كل صور البيان بعلوم البلاغة، من بيان أحكامه وأساليبه استنادا إلى ما تضمه علوم البلاغة من أدوات وطرق تكشف عن المعنى المراد من الآية.

المبحث الثاني: حجية تفسير القرآن بعلوم البلاغة.

المطلب الأول: استخلاص حجيته من كتاب التحصيل.

اعتنى المهدوي بعلوم البلاغة واستدل بها بوجوه مختلفة، وقد جعل من هذه العلوم أداة ووسيلة لبيان إعجاز القرآن وكونه حق من عند الله، فقد صرح في غير ما موضع على كون القرآن ظاهرة لغوية تحدى الله بها العرب على فصاحتها وبلاغتها ولذلك فقد ضم في طياته علوم البلاغة وإن كانت قليلة إلى حد ما إلا أنه قد لامس معظم مباحث علوم البلاغة الثلاثة[16] ومن جملة ما يستدل به على حجية هذا الأصل في تفسيره الشواهد الاتية:

الشاهد الأول:

تصريحه بضرورة الرجوع إلى اللغة بكل علومها بقوله: عند قوله تعالى: (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ اقْفَالُهَا) سورة النساء الآية 82،" أي يتفكرون فيه، وفي هذا دليل على وجوب تعلم معاني القرآن وفساد قول من قال: لا يجوز أن يؤخذ منه إلا ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومنع أن يتأول منه على ما يسوّغه لسان العرب[17].

ولسان العرب يدخل فيه علم البلاغة بعلومها الثلاثة.

الشاهد الثاني:

تصريحه بالاستدلال بعلوم البلاغة في مواضع متعددة من ذلك عند قوله تعالى: (وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) سورة الانعام الآية107.

قال المهدوي: (المس) من صفات الاجسام، **وهو ههنا مجاز**، والمعنى: إن يُحِلَّ بك ضرا.[18]

فاستدل **بالمجاز** لبيان المعنى التركيبي للآية.

ومن استدلالاته أيضا ما أورده عند قوله تعالى:(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لذكرى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ الْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) سورة ق الآية 37، قال المهدوي: القول في قوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لذكرى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ) ... والمعنى: لمن كان له قلب حيٌّ يعقل به، فكنى عن العقل بالقلب، لأنه محله.[19]

فهذه نصوص توضح لنا حجية علوم البلاغة عند الامام المهدوي وذلك باستدلاله بها واعتماده إياها في الوصول إلى المعنى المراد في الآية وفيما يلي مناقشة هذه الحجية من خلال أقوال الائمة والمفسرين.

المطلب الثاني: مناقشة رأيه في الحجية.

اعتماد المهدوي علوم البلاغة في تفسيره واستدلاله بها أمر مسلم به بين جميع أئمة التفسير، فعندما نرجع إلى تاريخ نشأة علوم البلاغة نجد أن السبب الأساس في ذلك هو القرآن الكريم، وذلك عندما انبرى العلماء والائمة للدفاع عليه وحمايته من اللحن والانحراف وبيان وجوه إعجازه فألفوا كتبا ومصنفات كانت كفيلة بتجلية أوجه البلاغة القرآنية قصد بيان إعجاز القرآن، ولذلك كان من بين أهم الأشياء التي سعى إليها الامام المهدوي البحث عن المعاني الدقيقة واللطيفة ، فكل مفردة أو آية إلا وخلفها معنى مستفاد، يعتبر الركيزة في بناء فهم المراد من كلام الله تعالى، وما ينتج عنه من بيان لإعجاز آي الكتاب.

ومما يؤيد رأي الامام المهدوي في الحجية مجموعة من أقوال الائمة الذين صرحوا بحجيته على رأسهم الامام الزمخشري الذي أولى عناية كبيرة بهذا الأصل إذ يرى أن الفقيه، وإن برز في حقول كثيرة كعلم الكلام ومعرفة الاخبار والوعظ والاعتبار، والنحوي مما أوتي من قوة، واللغوي وما بلغ متى تمكن من علمه فإن هؤلاء جميعا: "لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البديع وتمهل ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنهما أزمنة ..."[20]

ويشهد له أيضا قول الامام السكاكي بقوله: "إن الواقف على تمام مراد الله وتقدس من كلامه مفتقر إلى هذين العلمين–المعاني والبيان–كل الافتقار، فالويل كل الويل لم تعاطى التفسير وهو فيهما راجل."[21]

ويقول الامام الزركشي مبينا أهمية هذا الأصل وحجيته في التفسير:" واعلم أن معرفة هذه الصناعة بأوضاعها هي عمدة التفسير، المطلع على عجائب كلام الله، وهي قاعدة الفصاحة وواسطة البلاغة."[22] ومما يشهد على حجية هذا الأصل في التفسير تقرير مجموعة من أئمة التفسير في مقدماتهم مجموعة من الأسس والأدوات التي يجب أن يستحضرها المفسر منها علم البلاغة يقول الامام السمين في مقدمة كتابه الدر المصون:" فالأولى بالعاقل الأريب والفطن اللبيب أن يربأ بنفسه عن هذه المنزلة الدنية، ويأخذها بالرتبة السنية، فيطلع من علويه على أهمها وآكدها، وهي بعد تجويد ألفاظه بالتلاوة خمسة علوم: علم الاعراب وعلم التصريف وعلم اللغة وعلم البيان."[23]

وخلاصة القول إن ما ذهب إليه المهدوي من استدلاله بعلوم البلاغة واحتجاجه به هو صنيع أغلب أئمة التفسير ومعظمهم وبه نستنتج حجية هذا الأصل وقيمته في التفسير.

المبحث الثالث: دراسة وجوه تفسير القرآن بعلوم البلاغة.

المطلب الأول: تفسير آيات القرآن بعلم البيان.

أولا: البيان بالحقيقة والمجاز.

تعتبر الحقيقة والمجاز من أبرز القضايا البلاغية التي لها علاقة بتحديد المعنى وتوجيهه ولذلك نالتا حظا وافرا وعناية لدى الامام المهدوي وقبل الخوض في دراسة وجوه البيان بهما تجدر الإشارة إلى تعريفهما، ويعتب الامام الجرجاني صاحب الجهد الكبير يقول الامام ابن رشيق القيرواني: واعلم أن ما ذكرناه في المجاز الإسنادي العقلي هو ما قرره الشيخ النحرير عبد القاهر الجرجاني: واستخرجه بفكرته الصاخبة، وتابعه على ذلك الجهابذة من أهل المدن كالزمخشري وابن الخطيب الرازي وغيرهما.[24]

ولذلك سنعتمده تعريفه بهذا الاعتبار إذ يقول: إذا عدل باللفظ عما يوجبه وصف بأنه، على معنى أنهم جاوزوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولا.[25]

ومن جملة ما جاء بيانه بالحقيقة والمجاز عند الامام المهدوي الأمثلة الآتية:

المثال الأول:

بيان معنى الآية بحملها على المجاز عند قوله تعالى: (فوجدا جدارا يريد أن ينقض) سورة الكهف الآية 77، قال المهدوي: **أخبر عن الجدار بالإرادة مجازا.**[26]

ومثاله أيضا عند تفسير قوله تعالى:(إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)) سورة المائدة 112، قال المهدوي: ومعنى: (هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ) هل يفعل ذلك؟ فهو مجاز، كما تقول: هل تستطيع أن تزورني؟ وأنت عالم أنه يستطيع ذلك، والعرب تقول: أستطيع ذلك)، أي ما أنا فاعله.[27]

يتبين من خلال هذه الأمثلة أن الامام المهدوي اعتمد المجاز لبيان دلالة ومعنى الآية وذلك أنه يستحيل حملها على الحقيقة مستشهد بما جاء من أساليب العرب البلاغية وطريقتهم في الكلام.

المثال الثاني:

بيان معنى الآية بحملها على الحقيقة واستحالة المجاز.

ومعنى هذا الوجه من البيان استحالة حمل الآية على المجاز ووجوب حملها عل الحقيقة وهو ما عبلا عنه الاصوليون فيما بعد بقاعدة: "**إذا دار اللفظ بين الحقيقة والمجاز فاللفظ للحقيقة إلى أن يدل الدليل على أنه أراد المجاز**"[28]، وقد قرر المهدوي هذا الوجه في تفسيره عند قوله تعالى: (وَإِذَا قضى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) سورة البقرة الآية 117، قال المهدوي: وفي هذه الآية دليل على أن كلام الله تعالى غير مخلوق، لأنه لو كان مخلوقا، لكان قائلا له:

(كن)، ولكان قائلا لـ(كن): (كن)، حتى ينتهي ذلك إلى ما لا يتناهى، وذلك مستحيل مع ما يؤدي إليه ذلك من أنه لا يوجد من الله تعالى فعل ألبتة، إذ كان لا بد من أن يوجد قبله أفعال، وهي أقاويل لا غاية لها، وذلك مستحيل، **ولا يجوز أن يحمل على المجاز**، إذ ذلك إنما يكون في الجمادات، ولا يكون فيمن يصح منه القول إلا بدليل.

ويقوي ذلك: أن المصدر فيه –الذي هو (قولنا) من قوله: (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) سورة النحل الآية 40–مؤكَّد بمصدر آخر، وهو (أَن نَّقُولَ)، وأهل العربية مجمعون أنهم إذا أكدوا الفعل بالمصدر، غنما كان حقيقة، وذلك جاء قوله تعالى: وكلم الله موسى تكليما سورة النساء الآية 146، إذ كان الله متوليا تكليمه على الحقيقة.[29]

فرجح المهدوي حمل الآية على الحقيقة لا المجاز لاستحالته واستدل على ذلك بأدلة تدل على قوة ترجيحه واختياره.

ثانيا: البيان بالتشبيه والاستعارة والكناية.

أ) البيان بالتشبيه.

من الصور البلاغية التي أشار إليها المهدوي رحمه الله " التشبيه" وقد عرفه العلماء بتعريفات متعددة منها قول الامام الزركشي: "إلحاق شيء بذي وصف في وصفه، وأن تثبت للمشبه حكما من أحكام المشبه به"[30]، ويقول أيضا: " الدلالة على اشتراك شيئين في وصفٍ هو من أوصاف الشيء الواحد: كالطيب في المسك، والضياء في الشمس، والنور في القمر، وهو حكم إضافي لا يرد إلا بين الشيئين بخلاف الاستعارة"[31]. وفيما يلي بعض الوجوه التي اعتمد فيها المهدوي التشبيه للوصول إلى معاني الآيات.

المثال الأول:

بيان معنى الآية بحملها على التشبيه والكشف عن طرفيه ووجه الشبه، من ذلك عند تفسير قوله تعالى: (ولما سكت عن موسى الغضب) سورة الأعراف الآية 154، قال المهدوي: شبه سكوت الغضب بسكوت الناطق من حيث كان فوره كالنطق وسكوته كالسكون، وقيل: إنه من المقلوب والمعنى: ولما سكت موسى عن الغضب فه كقولك: أدخلت القلنسوة في رأسي.[32]

فبين المهدوي هنا الآية بالإشارة إلى طرفي التشبيه ووجه الشبه كما بيَّن أن هذا النوع يطلق عليه بالتشبيه المقلوب.

المثال الثاني:

بيان معنى الآية بحملها على تشبيه التمثيل، ومعنى هنا النوع من التشبيه:" هو ما كان وجه الشبه فيه وصفا غير حقيقي، وكان منتزعا من عدة أمور.[33]" وقد سماه القزويني بالمجاز المركب وهو المستعمل في فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه، أي تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى، ثم تدخل المشبهة في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه، فتذكر بلفظها من غير تغير بوجه من الوجوه[34].

وقد احتفل المهدوي بهذا النوع كثيرا في تفسيره خصوصا عند بيانه للآيات التي تضمنت أمثالا ومن شواهده ما أورده عند تفسير قوله تعالى:(أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كذلك يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كذلك يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ) سورة الرعد الآية 17، قال المهدوي: وهذا مثل ضربه الله تعالى للحق في ثباته ،والباطل في اضمحلاله، فأعلم أن الباطل وإن علا في بعض الأحوال يضمحل ، كاضمحلال الزبد والخبث.

فهما مثلان:

آخر الأول منهما: (فاحتمل السيل زبدا رابيا) فالماء هو الحق ن والزبد الرابي هو الباطل، والاودية مثل للقلوب، لأنها يسكنها الماء كما يسكن الايمان في القلوب، والماء المنزل من السماء مثل للقرآن يعم نفعه كل قلب طيب، كما يعم نفع الماء المنزل كل أرض طيبة، والسيل مثل للأهواء العارضة في القلوب، لأن الهوى يغلب على القلب كما يغلب السيل، والمستقر من الماء مثل لما يستقر في قلب المؤمن من القرآن، يَنتفع به كما يُنتفع بذلك الماء.

والمثل الثاني للحق والباطل: مثَّل الله تعالى ذلك بالذهب، والفضة، والحديد، وشبهه مما يوقد عليه، لاتخاذ حلية أو متاع ينتفع به، فشبه الباطل بخبثه، والحقَّ بما خلص منه، وبيَّن ذلك بقوله: (**كذلك يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ**) أي: مثل الحق والباطل.[35]

المثال الثالث:

بيان معنى الآية بالكشف عن المشبه والمشبه به، ومن ذلك عند تفسر قوله تعالى: (وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا) سورة الكهف الآية 99، قال المهدوي: ومعنى (يموج): يضطرب، ومنه: الموج في البحر فشبه حالهم بحال الماء المضطرب موجَهُ.[36]

فهذه الأمثلة تكشف لنا عن أهمية التشبيه وأثره في بيان معاني الآيات وأن المهدوي جعل منه وسيلة لاستخراج المعاني وبيانها كما أنه كشف عن أغلب وجوه التشبيه الواقعة في الآيات المفسَّرة.

ب) البيان بالاستعارة.

إضافة إلى التشبيه وظف المهدوي الاستعارة للكشف عن معاني الآيات القرآنية، وذلك أن هذه الأخيرة قريبة من التشبيه ولعل أول من عرف الاستعارة تعريفا واضحا هو الجاحظ حين قال: "الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره، إذا قام مقامه"[37]، وفيما يلي بعض الوجوه التي اعتمد فيها المهدوي الاستعارة لبيان معاني الآيات.

المثال الأول:

بيان معنى الآية بحملها على الاستعارة المكنية التبعية، عند تفسير قوله تعالى: (واشتعل الرأس شيبا) سورة مريم الآية4،[38]قال المهدوي: هذا من أحسن الاستعارة في كلام العرب، و(الاشتعال): انتشار شعاع النار، شبه به انتشار الشيب في الرأس.[39]

هنا المهدوي صرح أن الآية تضمنت معنى بلاغيا جميلا بيَّن من خلاله معنى الآية إلا أنه لم يصرح بنوع الاستعارة.

المثال الثاني:

بيان معنى الآية بحملها على الاستعارة التمثيلية، عند تفسير قوله تعالى:(قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون) سورة المؤمنون الآية 66، قال المهدوي:" أي تستأخرون عن قبول الحق، وهو تمثيل، شبه به من ردَّ الحق، لأنه يمشي الذي يمشي القهقري ولايدري ما وراءه".[40]

فهذين مثالين صريحين في استناد المهدوي إلى أسلوب الاستعارة واستدلاله بها لبيان معاني الآيات والكشف عن الجانب البلاغي في الكتاب حتى تظهر وجوه الاعجاز فيه.

ت) البيان بالكناية.

نبه المهدوي على أسلوب الكناية أحد مباحث علم البيان والتي عرفها عبد القادر الجرجاني بقوله: "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره في اللفظ الموضع له في اللغة، ولكن يجئ إلى معنى هو تاليه وردفه فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه".[41]

ومن أمثلة ما ذكره المهدوي الشواهد الاتية:

المثال الأول:

بيان معنى الآية بدليل الكناية على الحال، عند تفسير قوله تعالى: (وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) سورة الشعراء الآية 19، قال المهدوي رحمه الله: ومن كسر الفاء من (فَعْلتك)[42]، فهي كناية عن الحال التي يكون عليها، كـ(الجِلسة)، و(المشية)، و(الفعلة) قد تعاقب الفعل، نحو: (صِبغة الله) سورة البقرة الآية 138، و(صبغ)، و(صفوة الشيء)، و(صَفْوُه)"[43].

هنا أوضح أن الآية تحمل على الكناية عن الحال وبين من خلالها أن الآية تحمل على الهيئة والحال.

المثال الثاني:

عند تفسير قوله تعالى:(ما المسِيحُ آبن مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرسل وأمه صِدِّيقَةٌ كَانَا يَاكُلَانِ الطعام) **سورة** المائدة الآية **75**، قال المهدوي رحمه الله: "إنه كناية عن البول والغائط".[44]

المثال الثالث:

بيان معنى الآية بدليل الكناية والتعريض الذي معناه السب عند تفسير قوله تعالى: (قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَامُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ انَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) سورة هود الآية 87، قال المهدوي رحمه الله: وقيل هو تعريض أرادوا به السبَّ".[45]

فاتضح من الأمثلة السابقة استدلال المهدوي بالكناية والتعريض واعتمادهما في استخراج معاني الآيات.

ثالثا: البيان بالتكرار.

اعتمد المهدوي أسلوب التكرير أو التكرار لبيان كون القرآن منزها عنه لغير قصد مما جعله يعلل وجوده بوجوه مختلفة أهمها:

المثال الأول:

بيان أن التكرير في الآية معناه التوكيد، عند تفسير قوله تعالى: الرحمن الرحيم سورة الفاتحة الآية 2، قال المهدوي: "وكرر فيها لفظ الرحمة، لمعنى التأكيد، وقد قيل: ليدل التكرير على أنه لم يتسمَّ أحد بـ (الرحمن الرحيم) غير الله عز وجل، لأن مسيلمة الكذاب-لعنه الله-تسمى بـ(الرحمن)".[46]

المثال الثاني:

بيان أن التكرير في الآية معناه تعظيم الأمر وتفخيمه، عند تفسير قوله تعالى: (مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ) سورة البقرة الآية 98، قال المهدوي:"كرَّرَ جبريل، وميكائيل، لفضلهما على الملائكة"[47].

المثال الرابع:

بيان أن التكرار في الآية معناه التعليم وتعميم الفائدة، عند تفسير قوله تعالى:(وَلِلهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وكفى بِاللَّهِ وَكِيلًا) سورة النساء الآية 132، قال المهدوي رحمه الله: "تكريره لفوائد، وذلك أنه أمر قبل الموضع الأول بطاعته، ونبه على ملكه وسعته، ثم قال: من سعة ملكه أن له ما في السماوات وما في الأرض، فواجب أن يطاع، ويرغب فيما عنده، ونبه في الثاني على احتياج خلقه إليه، وغناه عنهم لأنه قال قبله: **(وإن تكفروا) أي: وإن تكفروا فإنه غني عنكم، لأن له ما في السماوات وما في الأرض، وأعلم قبل الثالث بحفظ خلقه ، وتدبيره إياهم بقوله: وكفى بِاللَّهِ وَكِيلًا** ، لأن له ما في السماوات وما في الأرض"[48].

المثال الخامس:

بيان أن التكرار في الآية معناه التكرير لطول المقام عند تفسير قوله تعالى: (قال ومن كفر فأمتعه قليلا) سورة البقرة الآية 125، قال المهدوي رحمه الله: " ومن قرأ: (فأَمْتِعْه ثم اضطره)، فعلى الدعاء، والضمير في (قال) لإبراهيم، وأعيد (قال)، لطول الكلام، أو لخروجه من الدعاء لقوم إلى الدعاء على آخرين، والفاعل في (قال) على قراءة الجماعة: اسم الله عزوجل"[49].

فهذه الأمثلة تدل على اعتماد المهدوي تعليل التكرير في القرآن الكريم وكشف أسراره، قصد بيان إبراز هذا الأسلوب البلاغي في القرآن الذي يعتبر أحد جوانب الاعجاز في كلام الله وتكامل نصوصه في الموضوعات التي اشتمل عليها فالتكرير في القرآن ليس من أجل التكرير وإنما لمقاصد عدة كما أشار إلى ذلك الامام المهدوي.[50]

المطلب الثاني: بيان معاني التركيب بعلم المعاني.

أولا: البيان بالالتفات.

أسلوب الالتفات، أسلوب بلاغي كثير الورود في كتاب الله ومعناه "مخالفة ظاهر اللفظ معناه"[51]، ويسميه البلاغيون بالخروج عن مقتضى الظاهر[52]، وقد نبه عليه المهدوي بوجوه مختلفة من ذلك:

المثال الأول:

بيان ان الآية خرجت من الغائب إلى الخطاب عند تفسير قوله تعالى: (إياك نعبد وإياك نستعين) سورة الفاتحة الآية 4، قال المهدوي رحمه الله:" خروج من لفظ الغيبة على الخطاب"[53].

المثال الثاني:

بيان أن الآية خرجت من الخطاب إلى الغيبة عند تفسير قوله تعالى:(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هذا إِفْكٌ قَدِيمٌ) سورة الاحقاف الآية 11، قال المهدوي: "وقوله (ما سبقونا إليه) يجوز أن يكون من قول الكفار لبعض المومنين، ويجوز أن يكون على الخروج من الخطاب إلى الغيبة"[54].

المثال الثالث:

بيان أن المفرد في الآية معناه الجمع عند قوله تعالى:(قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) سورة النمل الآية 44، قال المهدوي رحمه الله: "ومن قرأ بهمز (ساقيها)[55]، فإنه أجرى الواحد مجرى الجمع، فهمز (الساق) كما يهمز (السوق)"[56].

المثال الرابع:

بيان أن الآية معناها الخطاب الذي أخرج المخاطب نفسه من الجملة عند تفسير قوله تعالى: (قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) سورة النمل الآية 49، قال المهدوي: " ويجوز أن يكون (تقاسموا) على مثال الامر فيكون خطابا بالتاء، على أن المخاطب أخرج نفسه من الجملة".[57]

المثال الخامس:

بيان أن خطاب الواحد في الآية بمعنى خطاب الاثنين عند تفسير قوله تعالى: (قَالَ قَدْ اجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا) سورة يونس الآية 89، قال المهدوي:" وقيل الخطاب لموسى وحده، جرى على ما تستعمله العرب من مخاطبة الواحد بخطاب الاثنين".[58]

مما سبق يظهر اهتمام المهدوي بأسلوب الالتفات واعتماده إياه في توجيه معاني الأيات والكشف عن معانيها المقصودة.

ثانيا: البيان بالأمر.

اعتمد المهدوي الأساليب الإنشائية لبيان معاني الآيات من ذلك أسلوب الامر وأخذ يعلله حسب سياقاته من ذلك:

المثال الأول:

بيان أن الآية لفظها الأمر الذي معناه الندب عند قوله تعالى: (فإذا قضيتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام) سورة الآية 198، قال المهدوي: "ومزدلفة كلها هي المشعر الحرام، وأمر الله تعالى عند المشعر الحرام ندب عند أكثر أهل العلم".[59]

المثال الثاني:

بيان أن الآية لفظها الأمر الذي معناه الاباحة عند تفسير قوله تعالى: (وإذا حللتم فاصطادوا) سورة المائدة الآية 2، قال المهدوي: أمر إباحة"[60].

المثال الثالث:

بيان أن الآية لفظها الأمر الذي معناه التهديد، عند تفسير قوله تعالى: (قل من كن في الضللة فليمدد له الرحمن مدا) سورة مريم الآية 75، قال المهدوي: "لفظه لفظه الام، ومعناه: التهدد والوعيد، والمعنى: فليعش ما شاء ولوسع لنفسه في العمر، فمصيره إلى الموت والعذاب".[61]

المثال الرابع:

بيان أن الآية لفظها الأمر الذي معناه التعجب، عند تفسير قوله تعالى:(قلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْارْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا) سورة الكهف الآية 26، قال المهدوي: "وقوله: (أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ): تعجب، أي ما أبصره وأسمعه! أي هو عالم بخبر أصحاب الكهف وغيرهم".[62]

المثال الخامس:

بيان أن الآية لفظها الأمر الذي معناه الشرط والجزاء، عند تفسير قوله تعالى: (قُلْ انفِقُوا طَوْعًا اوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ) سورة البقرة الآية 53، قال المهدوي:" وقوله: **(قُلْ انفِقُوا طَوْعًا اوْ كَرْهًا)** الآية: لفظه لفظ الامر، ومعناه: الشرط والجزاء".[63]

فهذه أمثلة اعتمد فيها المهدوي أسلوب الامر بيان أنه يحمل على معاني متعددة حسب سياقه في الآية مما يدل على جمالية الأساليب القرآنية.

ثالثا: البيان بالنهي.

في مقابل الأمر يأتي البيان بالنهي الذي له صور متعددة، وقد كشف المهدوي عنها في مواطن متعددة من ذلك:

المثال الأول:

بيان أن الآية لفظها النهي الذي معناه الخبر عند تفسير قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ) سورة البقرة الآية 84، قال المهدوي: أي لا يسفك بعضكم دم بعض، وكذلك: (ولا تخرجون أنفسكم من ديركم).[64]"

فنبه المهدوي على خروج النهي في الآية عن التحريم إلى معنى الخبر.

المثال الثاني:

بيان أن الآية لفظها النهي الذي معناه الدعاء عند قوله تعالى: (رَبَّنَا اطْمِسْ على أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ على قُلُوبِهِمْ فَلَا يُومِنُوا حتى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) سورة يونس الآية 88، قال المهدوي: قال مجاهد: هو دعاء، وكذلك قال الكسائي: هو مجزوم، لأنه دعاء"[65].

المثال الثالث:

بيان أن الآية لفظها النهي الذي معناه النفي عند تفسير قوله تعالى: (ما كان لله أن يتخذ من ولد) سورة مريم الآية 35، قال المهدوي:" لفظه لفظ الحظر ومعناه النفي، لأن الله عزوجل –لا يحظر عليه شيء".[66]

المثال الرابع:

بيان أن الآية لفظها النهي الذي معناه التهويل والتفخيم، عند تفسير قوله تعالى: (إنا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ) سورة البقرة الآية 119، قال المهدوي: الجزم على النهي الحقيقي، على ما قدمناه في التفسير، أو على النهي الذي معناه تفخيم ما أعد لأصحاب الجحيم كقول القائل: (لا تسأل عن فلان)، إخبارا عن المبالغة فيما صار إليه من خير أو شر".[67]

المثال الخامس:

بيان أن الآية لفظها النهي الذي معناه الاستهزاء، عند تفسير قوله تعالى: (وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حتى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ) سورة البقرة الآية 102، قال المهدوي: وقولهما: (إنما فتنة فلا تكفر) على هذا استهزاء".[68]

في هذه الأمثلة بيَّن المهدوي معاني الآيات بناء على ما يحتمله النهي من وجوه حسب سياقه في القرآن.

رابعا: البيان بالاستفهام.

المثال الأول:

بيان أن الآية لفظها الاستفهام الذي معناه التوبيخ، عند تفسير قوله تعالى: (لعلكم تخلدون) سورة الشعراء الآية 129، قال المهدوي: "أي كي تخلدوا، وقيل هو استفهام بمعنى التوبيخ".[69]

المثال الثاني:

بيان أن الآية لفظها الاستفهام الذي معناه الخبر عند تفسير قوله تعالى: (آالله خير آم يشركون) سورة النمل الآية 59، قال المهدوي: " وقيل: لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الخبر".[70]

المثال الثالث:

بيان أن الآية لفظها الاستفهام الذي معناه التوبيخ والتنبيه على قدرة الله عز وجل، عند قوله تعالى: (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ) سورة النمل الآية 60، قال المهدوي: أي أعبادةُ ما تعبدون من أوثانكم خير أم عبادة من خلق السماوات والأرض؟ فهو مردود على ما قبله من المعنى المتقدم، وفيه معنى التوبيخ لهم، والتنبيه على قدرة الله عزوجل، وعجز آلهتهم".[71]

المثال الرابع:

بيان أن الآية لفظها الاستفهام الذي معناه الإنكار، عند تفسير قوله تعالى: (وكذلك فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ) سورة الأنعام الآية 53، قال المهدوي: المعنى: اختبرناهم، لقول الأغنياء: (أهؤلاء) يعنون الفقراء (مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا)؟ يجوز أن يكون ذلك على وجه الإنكار، ويجوز أن يكون على وجه الاستفهام".[72]

المثال الخامس:

بيان أن الآية لفظها الاستفهام الذي معناه التسوية المتضمنة بالنفي، عند تفسير قوله تعالى: (هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ) سورة الانعام الآية 47، قال المهدوي: " لفظه لفظ الاستفهام، ومعناه التسوية المضمَّنة بالنفي، ولا تكون التسوية بـ(هل)إلا في النفي خاصة، وتكون التسوية بألف الاستفهام في كل معنى".[73]

المطلب الثالث: بيان معاني التراكيب بعلم البديع.

تعددت استدلالات الامام المهدوي بعلم البديع قصدا منه إبراز الجانب الاعجازي للقرآن ومن جملة ما أورده:

المثال الأول:

بيان معنى الآية بالمشاكلة، عند تفسير قوله تعالى: وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ سورة آل عمران الآية 54، قال المهدوي:" أي مكروا بإضمار الكفر، ومكر الله بمجازاتهم عليه.

وقيل: مكروا بما حاولوه من قتل عيسى عليه السلام، ومكر الله بما ألقاه من شبهه، على غيره، ورفعه عيسى عليه السلام، فجاء على مزواجة الكلام".[74]

هنا اعتمد المهدوي أسلوب المشاكلة اللغوية أو ما أطلق عليه بالمزواجة في الكلام.

المثال الثاني:

بيان الآية بالتدريج، عند تفسير قوله تعالى: (قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ولكن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حتى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا) سورة الفرقان الآية 18، قال المهدوي: "جواب محمول على المعنى لا على اللفظ، لأن من عبد شيئا فقد تولاهن ومن تولى شيئا فالمتولِّي ولي المتولَّى، وهذا يسمى التدريج"[75].

المثال الثالث:

بيان الآية بالمقلوب، عند تفسير قوله تعالى: (وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) سورة الأعراف الآية 154، قال المهدوي: وقيل هو من المقلوب، والمعنى سكت موسى عن الغضب، فهو كقولك: (أدخلت القلنسوة في رأسي".[76]

خاتمة المقال:

مما سبق يتبين أن المهدوي اعتنى بعلوم البلاغة واستدل بها لبيان معاني الآيات والكشف عن الأساليب اللغوية التي تدل على إعجاز القرآن وهذه أهم نتائج المقال:

- اعتداد المهدوي الملحوظ بعلوم البلاغة وما تصل بها من وجوه الاعجاز القرآني.
- تصريح المهدوي بجملة من القضايا البلاغية التي تدل صراحة على حجية هذا الأصل في تفسيره.
- وجود أنواع متعددة من المسائل البلاغية التي تدل على تطور هذ النوع من التفسير عند مفسري الغرب الإسلامي في القرن الرابع الهجري.
- أن استدلال المهدوي بعلوم البلاغة يدل على حجيتها وقوتها في التفسير مما يجعل منه أصلا يستند إليه في عملية التفسير.
- أن المهدوي ذكر مجموعة من علوم البلاغة وميز بين بعضها إلا أن البديع لم يحظ بما حظي به كل من المعاني والبيان.
- أن أسلوب الالتفات والاستفهام الأكثر ورودا في تفسير المهدوي.
- أن المهدوي ميز بين الكناية والتعريض في مواضع متعددة مما يدل دقة نظره في المسائل البلاغية.

الهوامـــــــــش:

[1] – السيوطي–الإتقان في علوم القرآن –(ج2/ص120).

[2] – ابن منظور –لسان العرب –دار الحديث –القاهرة–مادة بلغ –وابن زكريا –مقاييس اللغة –تحقيق: عبد السلام هارون / مطبعة مصطفى الحلبي وألاده–(ط2) –((1349هـ–1949م)) مادة بلغ.

[3] – ينظر الجاحظ – البيان والتبين (ج1 /ص115) –عبد القاهر الجرجاني–دلائل الاعجاز في علن المعاني–(ص35) –السكاكي–مفتاح العلوم –(ص69) – أحمد مطلوب–معجم المصطلحات البلاغية (ج1/ص405) –ابن الاثير –المثل السائر في أدب الكاب والشاعر–(ج1/ص69).

[4] – الخطيب القزويني–الايضاح في علوم البلاغة – الطبعة الثالثة، تحقيق / محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت: دار الجيل، (ج1/ص 349).

[5] – المهدوي–كتاب التحصيل–(ج1/ص144). هذا النوع من التشبيه موجود في مواضع كثيرة من تفسير المهدوي ينظر المواضع الاتية–(ج1/ص145) – (ج3/ص563/562).

[6] – المرجع نفسه، (ج7/ص321).

[7] – المرجع نفسه، (ج3/ص499).

[8] – المهدوي–كتاب التحصيل –(ج1/ص121).

[9] – تتمة التعريف مقتبس من تعريف الدكتور محمد قجوي من بحث بعنوان" تفسير القرآن بالقرآن، قيمته. مباحثه، وضوابطه. الدكتور محمد قجوي حفظه الله من مقالات المؤتمر الثالث للباحثين في القرآن الكريم وعلومه في مدينة فاس (أبريل 2015م، ص3).

[10] – أحمد الهاشمي–جواهر البلاغة –دار إحياء التراث العربي–ط1 بيروت –(ص46).

[11] – إحسان الأمين –منهج النقد في التفسير–دار الهادي، ط2007،1م–(ص160).

[12] – أحمد الهاشمي–جواهر البلاغة –دار إحياء التراث العربي–ط1 بيروت –(ص5).

[13] – الخطيب القزويني–الايضاح في علوم البلاغة–تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل –بيروت–ط 3، (ج1/ص50).

[14] – إحسان الأمين –منهج النقد في التفسير–دار الهادي، ط2007،1م–(ص160).

[15] – تتمة الشرح مقتبس من كلام الدكتور محمد قجوي في تعريفه تفسير القرآن بالقرآن من بحث بعنوان" تفسير القرآن بالقرآن، قيمته. مباحثه، وضوابطه. الدكتور محمد قجوي حفظه الله من مقالات المؤتمر الثالث للباحثين في القرآن الكريم وعلومه في مدينة فاس (أبريل 2015م، ص3).

[16] – ينظر–حسين الذهبي – التفسير والمفسرون فقد حكم على المهدوي بأنه لم يتوسع في علوم الباغة إلى الحد الذي بلغه المشارقة، كالزمخشري، وغيره. – مجلد1(ج3/ص47).

[17] – المهدوي–كتاب التحصيل–(ج2/ 321).

[18]– المهدوي–كتاب التحصيل–(ج2/ص558).

[19]– المهدوي–كتاب التحصيل–(ج6/ص210).

[20] – الزمخشري – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل–طبعة در المعرفة–بيروت –ط 3– 2009(ج1/ص23).

[21] – لم أقف على نص الامام السِكّاكي في كتبه ووجدت عند الامام الطاهر ابن عاشور يستدل به في المقدمة الثانية من تفسيره، ينظر التحرير والتنوير – (ج1/ص20).

[22] – الزركشي–البرهان في علوم القرآن –(ج1/ص312).

[23] –السمين الحلبي–الدر المصون في علوم الكتاب المكنون–(ج1/ص4).

[24] –ابن رشيق القيرواني–العمدة في محاسن الشعر – تحقيق محمد قرقزان–دار المعرفة–بيروت–ط1، 1998م–(ج1/ص456).

[25] – عبد القادر الجرجاني –أسرار البلاغة–تحقيق محمد رشيد رضا، دار المطبوعات العربية–د.ت–(ص342).

[26] – المهدوي –كتاب التحصيل (ج 5/ص204).

[27] – المرجع نفسه –(ج2/ص531). ينظر مثال آخر –(ج6/ص194).

[28]–أبو حامد الغزالي – المستصفى في أصول الفقه–ط، دار الفكر–(ص359).

[29]– المهدوي –كتاب التحصيل –(ج1/ص322/321).

[30] – الزركشي – البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا بيروت (د، ت)، (ج3/ص414).

[31] – المصدر السابق.

[32] – المهدوي – كتاب التحصيل –(ج3/ص105). ينظر بقية الأمثلة–(ج3/ص466) (ج1/ص430). (ج1/ص417).

[33] – السِّكاكي–مفتاح العلوم–مرجع سابق –(ص346).

[34] –القزويني–الايضاح في علوم البلاغة–المعاني والبيان والبديع–ط–دار الكتب العلمية–ط 1 2003، (ص190).

[35] – المهدوي –كتاب التحصيل–(3/ص562). ينزر بقية الأمثلة: (ج1/ص145/144). (ج2/ص102) (ج6/ص190).

[36] – المهدوي –كتاب التحصيل (ج4/ص 229). ينظر نماذج في: (ج1/ص395/394).

[37]– الجاحظ – البيان والتبين–تحقيق عبد السلام هارون–دارا الفكر للطباعة والنشر –(د.ت) (1/ص153).

[38] – من أحسن ما قيل في الآية قول الامام الشيخ عبد القاهر . بصدد بيان شرف النظم في الكلام .: ومن دقيق ذلك وخفيّة أنّك ترى الناس إذا ذكروا قوله تعالى: وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا سورة مريم الآية 4، لم يزيدوا فيه على ذِكر الاستعارة ولم ينسبوا الشرف إلاّ إليها، ولم يروا للمزيّة موجباً سواها.

هكذا ترى الأمر في ظاهر كلامهم، وليس الأمر على ذلك، ولا هذا الشرف العظيم، ولا هذه المزيّة الجليلة، وهذه الروعة التي تدخل على النفوس عند هذا الكلام لمجرّد الاستعارة، ولكن لأن يُسلك بالكلام طريق ما يسند الفعل فيه إلى الشيء، وهو لِما هو مِن سببه، وذلك أنّا نعلم أنّ (اشتعل) للشيب في المعنى، وإن كان هو للرأس في اللفظ، فلو غيّرته وأسندته إلى الشيب وأضفت الشيب إلى الرأس ليكون على حقيقته، وقلت (اشتعل شيب الرأس) أو (الشيب في الرأس)، فهل تجد ذلك الحسن، وتلك الفخامة؟ وهل ترى الروعة التي كنت تراها في الآية؟

والسبب في ذلك أنّ نظم الآية يفيد، مع لمعان الشيب في الرأس الذي هو الأصل، معنى آخر هو الشمول والشيوع وأخذه في نواحيه، وأنّه قد استقرّ به وعمّ جملته، حتى لم يبقَ من السواد شيء، وهذا المعنى لا يكون إذا قيل: اشتعل شيب الرأس، أو الشيب في الرأس، بل لا يوجب اللفظ حينئذٍ أكثر من ظهوره فيه في الجملة.

ووزان هذا، أن تقول (اشتعل البيت ناراً) أو تقول (اشتعل النار في البيت) فكم بينهما من فرق؟

قال: ونظير هذا التنزيل قوله عزّ وجلّ: وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا سورة القمر الآية 12، التفجير للعيون في المعنى، وأُوقع على الأرض في اللفظ، كما أُسند هناك الاشتعال إلى الرأس، وقد حصل بذلك مِن معنى الشمول هاهنا مثل ما هناك؛ وذلك أنّه أفاد أنّ الأرض قد صارت كلّها عيوناً، وأنّ الماء يفور من كل جوانبها، أمّا لو قلنا: (فجّرنا عيون الأرض) أو (العيون في الأرض) لزال هذا المعنى وزالت هذه الروعة في المبالغة القريبة) ينظر الجرجاني-دلائل الإعجاز، (ص69 . 70).

[39]-المهدوي-كتاب التحصيل-(ج4/ص239).

[40] – المهدوي –كتاب التحصيل-(ج5/ص496).

[41] – عبد القاهر الجرجاني – دلائل الاعجاز-(ص25).

[42] – قراءة الشعبي، ينظر المهدوي –كتاب التحصيل-(ج5/ص56).

[43] – المهدوي –كتاب التحصيل –(5/ص58).

[44] – المهدوي – كتاب التحصيل –(ج2/ص487).

[45] – المرجع نفسه، (ج3/ص430).

[46] – المرجع نفسه، (ج1/ص120/119). ينظر بقية النماذج التي فيها نفس التعليل-(ج1/ص376) (ج2/ص460).

[47] – المهدوي –كتاب التحصيل –(ج1/ص281). مثال آخر-(ج6/ص314)

[48] – المهدوي –كتاب التحصيل-(2/ص358).

[49] – المهدوي-كتاب التحصيل –(ج1/ص357). ينظر مثال آخر فيه نفس التعليل-(ج1/ص294).

[50]– ينظر بقية الأمثلة –(ج1/ص536) –(ج6/ص565).

[51] –ابن قتبة الدينوري – تأويل مشكل القرآن –(ص2289).

[52] – ينظر بذل الماعون لدارس الجوهر المكنون في علم البلاغة-تأليف العلامة محمد فال (اباه) بن عبد الله العلوي الشنقيطي-مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، ط الأولى – 2016م، 1437هـ (ص47).

[53]– المهدوي –كتاب التحصيل –(ج1/ص121). ينظر مثال آخر-(ج5/ص43).

[54] – المرجع نفسه، (ج6ص131).

[55] – وهي قراءة قنبل وابن المفلح عن ابن كثير، ينظر المهدوي-كتاب التحصيل-(ج5/ص98).

[56] –المهدوي –كتاب التحصيل –(ج5/ص107).

[57] – المرجع نفسه، (ج5/ص124).

[58]– المرجع نفسه، (ج3/ص368).

[59] – المهدوي –كتاب التحصيل-(ج1/ص448).

[60] – المرجع نفسه ج2/ص399).

[61] – المرجع نفسه (ج4/ص276).

[62] – المرجع نفسه ج4/ص168).

[63] – المرجع نفسه ج254/3). ينظر بقية الأمثلة في: (ج2/ص94)، (ج2/ص 110).

[64] – المهدوي – كتاب التحصيل-(ج1/ص274).

[65] – المرجع نفسه، (ج3/ص367).

[66]– المرجع نفسه، (ج4/ص261).

[67]– المهدوي –كتاب التحصيل – (ج1/ص329).

[68] – المرجع نفسه، (ج1/ص329).

[69] – المرجع نفسه، (ج5/ص66).

[70] – المرجع نفسه، (ج5/ص112).

[71] – المهدوي–كتاب التحصيل –(ج5/ص112). ينظر مثال آخر –(ج4/ص161).

[72]– ا المرجع نفسه، (ج2/ص590).

[73]– المرجع نفسه، (ج2/ص597) . ينظر بقية الأمثلة – (ج3/ص 106).

[74]– المهدوي –كتاب التحصيل –(ج2/ص62).

[75] – المرجع نفسه، (ج5/ص11).

[76] – المرجع نفسه، (ج3/ص105).